

أحاديث رمضان ٤٣٠ هـ - الفوائد - الدرس (٣١-٣١) : الابلاء - ٢

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ٢٠٠٩-١١-٠١

### بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلوة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين، اللهم أخرجا من ظلمات الجهل والوهم إلى أنوار المعرفة والعلم، ومن حول الشهوات إلى جنات القربات.

### التأديب و الابلاء و التكريم:

أيها الأخوة الكرام، مع فائدة جديدة من فوائد كتاب الفوائد القيم لابن القيم رحمه الله تعالى.

هذه الفائدة تتعلق بالابلاء أيضاً، فالحقيقة الأولى التي ينبغي أن تكون واضحة أن المؤمن يمر بمراحل ثلاثة، هذه المراحل قد تكون متداخلة، وقد تكون متمايزه، هناك مرحلة لا بد منها مرحلة التأديب، أن المؤمن إذا قصر في أداء واجباته، أو تجاوز الحدود، أو وقع في مخالفة حينما لا يكون كما ينبغي، قصر في أداء واجباته، أو تجاوز حدود الله عز وجل، أو أهمل ما ينبغي إلا يهمله، فالمؤمن يعالجه الله بالتأديب قال تعالى:

الله يؤدب عباده المؤمنين المقصرين



﴿وَلَنُذَاقُهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَى دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾

(سورة السجدة)

هذه حالة، والحالة الثانية أن المؤمن لو استقام على أمر الله، لو اصطلح مع الله، لا بد من أن يمر في مرحلة الابلاء - الامتحان - كما عندما سئل الإمام الشافعي - رحمه الله تعالى -: أندعوا الله بالابلاء أم بالتمكن؟ فقال: لن تتمكن قبل أن تبتلى. والمراحل الثالثة مرحلة التكريم، فأنت بين التأديب وبين الابلاء وبين التكريم.

## اجتماع تعظيم الله و الخوف منه و المحبة له في قلب المؤمن:



هناك تكريم الهي

هذه المراحل الثلاث تتدخل أو تتمايز، يمكن في اليوم الواحد أن تؤدب صباحاً، وأن تبتلى ظهراً، وأن تكرم مساءً، نقول: هذه المراحل متداخلة، وأحياناً تكون هذه المراحل متمايزة، في حقبة من عمرك هناك التأديب، وفي حقبة أخرى الابتلاء، وفي حقبة ثالثة التكريم، إذاً وطن نفسك أنك بين التأديب والابتلاء والتكريم، في بعض الآثار القدسية:

(( قال: يا ربِي أي عبادك أحبَ إليك حتى أحبه بحبك؟ قال: أحب عبادي إلى تقي القلب، نقى اليدين، لا يمشي إلى أحد بسوء، أحبني، وأحب من أحبني، وحببني إلى خلقي، قال: يا رب إنك تعلم أني أحبك، وأحب من يحبك، فكيف أحبك إلى خلقك؟ قال: ذكرهم بالآني، ونعمائي، وبلاسي ))

[ورد في الأثر]

أي ذكرهم بالآني كي يعظموني، وذكرهم بلاسي كي يخافونني، وذكرهم بنعمائي كي يحبونني، معنى ذلك أنه لا بد من أن يجتمع في قلب المؤمن تعظيم الله من خلال آياته الكونية، ومحبة له من خلال نعمه الجزيلة، وخوف منه من خلال البلاء والمصائب.

## الحياة حركة:

أيها الأخوة الكرام، الآن في موضوع الابتلاء في أي مجتمع يستتبط من حركة الحياة فيه، الحياة لها حركة، في الحياة أقوياء و ضعفاء، أغنياء و فقراء، أتقياء و فجار، والناس يعيشون مع بعضهم بعضاً، فالحياة حركة، السبب أن هناك دوافع، هناك دافع إلى الطعام والشراب هذا يوجد حركة في



الحياة لها حركة

الحياة، انظر إلى الطرقات صباحاً كل الناس يسعون إلى كسب أرزاقهم هناك حركة، وهناك حركة ثانية إلى زواجهم، وحركة ثالثة إلى تأكيد ذواتهم، فالحركة قائمة، لكن من خلال هذه الحركة قد تستبط بعض القوانين، قوانين أرضية قد لا يعترف عليها الشرع، أي القوي إذا مدحته يطمئنك، فإذا انتقدته يقيم عليك الدنيا، هذا قانون، الإنسان إذا أعطيته مالاً يسكت على أخطائك، بأي مجتمع يوجد حركة من خلال هذه الحركة تستبط بعض القوانين، مثلاً: كان التابعي الجليل "الحسن البصري" عند والي البصرة، فجاء توجيه من الخليفة يزيد، الرسالة مرعبة، يبدو أنه لو نفذ أمر الوالي لاغضب الله عز وجل، ولو لم ينفذ لاغضب الخليفة، وربما عزله، فوقع في حيرة من أمره، وعنده الإمام الجليل الحسن البصري فسألها، فأجابه إجابة تكتب بماء الذهب، تعد منها، قال له: "إن الله يمنعك من يزيد، ولكن يزيد لا يمنعك من الله".

انتهى الأمر، فهناك حركة في الحياة، وهناك قوانين، وهذه القوانين قد تتناقض مع منهج الله عز وجل، فالذى لا يعبأ بهذه القوانين ويخضع لقوانين الله عز وجل، وله منهج الله قد يعرض نفسه إلى خسارة كبيرة، لكن الذى يحدث أن الله جل جلاله له قانون أنا أسميه العناية الإلهية، فيحفظه من مغبة عمله، يكون قد أرضى الله ونال الدنيا، مثلاً:

هذا التابعي الجليل الحسن البصري أدى رسالة العلم، ببيانه أغضب الحاج، فقال لجلسائه: يا جبناء والله لأروينكم من دمه وأمر بقتله، وجاء بالسياف، وجيء بالقطع ومدد، وجيء بالحسن البصري ليقتل، فلما دخل على مجلس الحاج حرك شفتـيه بكلام ما سمعه أحد، فإذا بالحجاج يقف له، جيء به ليقتل، جيء به ليقطع رأسه، فإذا بالحجاج يستقبلـه، وما زال يقربـه من مجلسه حتى أجلسـه على سريرـه واستقـتاه، وأكرـمه، وعطرـه، وشيـعـه إلى بـاب القـصر ، من الذـي صـعـقـ بما جـرى ؟ السـيـافـ والحـاجـبـ، تـبعـهـ الحاجـبـ قالـ: يا أـباـ سـعـيدـ، لـقدـ جـيءـ بـكـ لـقصـ رـقبـكـ، ماـذاـ قـلتـ لـربـكـ ؟ قالـ لهـ: قـلتـ: " يا مـلاـذـيـ عـندـ كـربـتـيـ، يا مـؤـنـسـيـ فـيـ وـحـشـتـيـ، اـجـعـلـ نـقـمـتـهـ عـلـيـ بـرـداـ وـسـلـامـاـ، كـماـ جـعـلـ النـارـ بـرـداـ وـسـلـامـاـ عـلـىـ إـبـراهـيمـ".

### من آثر طاعة الله على الخضوع للقوانين الفاسدة يخضعه الله لقانون العناية الإلهية:

أيها الأخوة الكرام، أنا أريد أن أؤكد لكم الإنسان حينما يعيش في مجتمع معين، وهذا المجتمع تحكمه قوانين قد لا تتماشى مع منهج الله، الآن أبسـطـ مثلـ بـعـضـ الـبـلـادـ هـنـاكـ قضـيـةـ تـعرـقـ أـمـامـكـ، تـدـفعـ تـمـشـيـ، لـاـ تـدـفعـ لـاـ تـمـشـيـ، هـذـهـ مـشـكـلـةـ، دـفـعـ الـمـالـ لـهـ إـشـكـالـ وـقـبـضـهـ فـيـهـ إـشـكـالـ، فـيـأـتـيـ المـؤـمـنـ بـيـرـىـ أـنـ هـذـهـ قـوـانـينـ التـيـ تـسـودـ هـذـاـ مـجـتمـعـ لـاـ تـرـضـيـ اللـهـ فـيـؤـثـرـ طـاعـةـ اللـهـ، وـبـحـسـبـ هـذـهـ قـوـانـينـ يـخـسـرـ وـسـيـدـمـرـ، فـإـذـاـ بـالـلـهـ جـلـ جـلالـهـ يـخـضـعـهـ لـقـانـونـ اـسـمـهـ قـانـونـ العـنـاـيـةـ الإـلـهـيـةـ، فـيـتـأـلـقـ لـذـلـكـ قـالـ تعالىـ:

﴿ وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ ﴾

(سورة الإسراء)

قد يقول أحدهم أليس من الإيجاز أن يقول الله عز وجل: رب اجعلني صادقاً؟ هناك معنى دقيق، أنت أحياناً تدخل مدخل صدق، وأنت بعد أن دخلت تزل القدم، ولا تخرج صادقاً، قد تدخل صادقاً وتخرج ليس بصادق لذلك الآية الكريمة:

الذي يرفض الخضوع للفساد سيكون في عنابة الله

﴿وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَانًا نَصِيرًا﴾  
(سورة الإسراء)

من هنا من حديث عائشة موقوفاً ومرفوعاً:  
(( من أرضى الله بسخط الناس كفاه الله مؤونة الناس، ومن أرضى الناس بسخط الله لم يغتوا عنه من الله شيئاً ))

[الترمذني في السنن كتاب الزهد عن عائشة]

قوي إذا أرضيته بسخط الله سخط الله عنك، وجعله يسخط عليك، الآن إذا أرضيت ربك بسخط القوي، يرضى الله عنك، ويجعل هذا القوي يرضى عنك، كيف؟ بالحكمة الإلهية، بالعناية الإلهية، إذاً يمكن أن نجد قوانين مستخلصة من حركة الحياة، هذه القوانين قد لا تتفق مع منهج الله، فيأتي المؤمن ويؤثر طاعة الله عز وجل على الخضوع لهذه القوانين التي هي من صنع البشر، فيخضعه الله لقانون آخر هو قانون العناية الإلهية، فينجح في إرضاء ربه وفي كسب دنياه.

## حلوة الإيمان وحقائق الإيمان:

لذلك الله عز وجل يبين أن في الدين شيء اسمه حلوة الإيمان، تحدث عنه النبي عليه الصلاة والسلام فقال:

(( ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلَاوةَ الإِيمَانِ ))

[متفق عليه عن أنس بن مالك]

الحلوة الإيمان ثمن باهظ، حلوة الإيمان شيء وحقائق الإيمان شيء آخر، بأوضح مثل حقائق الإيمان كورقة كبيرة على الطولولة فيها مخطط قصر، هذا المكان ثمانية بثمانية، هذه



شرفة كبيرة، غرفة استقبال كبيرة جداً، غرفة نوم كبيرة، إطلالة رائعة، لكن كله ورق، فحقائق الإيمان كهذا الورق، معلومات دقيقة مبنية على مخطوطات، على رسم، على علم هندي، لكن حلاوة الإيمان هي القصر نفسه، بين الذي يملك حقائق الإيمان وبين الذي يملك حلاوة الإيمان كمن يملك الخارطة، والثاني يملك القصر نفسه وهو يسكن فيه، لذلك قال النبي عليه الصلاة والسلام:

(( ثَلَاثٌ مَّنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلَوَةَ الإِيمَانِ : أَنْ يَكُونَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا ))

[ منفق عليه عن أنس بن مالك ]

أن يكون الله في قرآن، والنبي في سنته في الأمر والنهي أحب إلى هذا المؤمن من أي شيء آخر، إذاً هذا الذي يؤثر طاعة الله وطاعة رسوله على مصالحة المتوجهة في الدنيا يكون قد دفع دفعة من حلاوة الإيمان:

(( ذاقَ طَعْمَ الإِيمَانِ مَنْ رَضِيَ بِاللَّهِ رَبِّا، وَبِالإِسْلَامِ دِينًا، وَبِمُحَمَّدٍ رَسُولاً ))

[ مسلم عن عبد المطلب ]

(( ثَلَاثٌ مَّنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلَوَةَ الإِيمَانِ : أَنْ يَكُونَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا وَأَنْ يُحِبَّ الْمَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا اللَّهُ ))

[ منفق عليه عن أنس بن مالك ]

## الولاء والبراء:

لكن بالمناسبة أن يكون الله في قرآن – في الأمر والنهي – والنبي في سنته الصحيحة – في الأمر والنهي – أحب إليه مما سواهما عند التعارض، أي حينما تتعارض مصلحتك المادية مع النص الشرعي تؤثر طاعة الله، ولا تعبأ بهذه المصلحة المتوجهة، عندئذ تكون قد دفعت ثمن حلاوة الإيمان، عندئذ تنوق حلاوة الإيمان، والبند الثاني:

(( وَأَنْ يُحِبَّ الْمَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا اللَّهُ ))

[ منفق عليه عن أنس بن مالك ]

هذا اسمه في علم العقيدة الولاء والبراء، أي هو يوالى المؤمنين ولو كانوا ضعافاً وفقراء، ويتبرأ من الطرف الآخر ولو كانوا أشداء وأقوياء وأغنياء:

(( وَأَنْ يُحِبَّ الْمَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا اللَّهُ ))

فمن علامة المؤمن وهو في دار الامتحان أنه يعطي الله، ويمنع الله، ويصل الله، ويقطع الله، ويرضى الله، ويغضب الله، أما الثالثة:



(( وَأَنْ يَكُرِهَ أَنْ يَعُودَ فِي الْكُفْرِ كَمَا يَكُرِهَ أَنْ يُقْذَفَ فِي النَّارِ ))

[ متفق عليه عن أنس بن مالك ]

صار هذا الحديث:

(( ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ: أَنْ يَكُونَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ، أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سَوَّاهُمَا وَأَنْ

يُحِبَّ الْمَرْءُ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنْ يَكُرِهَ أَنْ يَعُودَ فِي الْكُفْرِ كَمَا يَكُرِهَ أَنْ يُقْذَفَ فِي النَّارِ ))

[ متفق عليه عن أنس بن مالك ]

الدنيا دار ابتلاء لا دار جراء:

أيها الأخوة، لازلنا في الفائدة التي تتحدث عن الابتلاء:

﴿ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَهَا لِنَبْلُوْهُمْ أَيْهُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً (٧) ﴾

( سورة الكهف )

هناك أشياء مزخرفة جميلة جداً، وقد

قال الله عز وجل:

﴿ حَتَّىٰ إِذَا أَخَذْتُ الْأَرْضَ رُخْرُفَهَا  
وَأَزَيَّنْتُ وَطَنَّ أَهْلُهَا أَنْهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا  
أَتَاهَا أَمْرُنَا لِيَلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاها  
حَصِيدًا كَأَنَّ لَمْ تَغْنِ بِالْأَمْسِ ﴾

( سورة يونس )



الدنيا في زخرفها ابتلاء وامتحان

آية ثانية:

﴿ وَبَلَوْنَاهُمْ بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ (١٦٨) ﴾

( سورة الأعراف )

تأتيك حسنة أنت ممتحن بها، لا سمح الله تأتيك سيئة أنت ممتحن بها، الآن الهدى ابتلاء:

﴿ فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى (١٢٣) وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا ﴾

﴿ وَتَحْشِرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى (١٢٤) ﴾

( سورة طه )

أيها الأخوة، هذا الموضوع موضوع الابتلاء من أدق الموضوعات، وأنت حينما تتطلق في تعاملك مع الله أنك في دار ابتلاء ولست في دار جراء، دار الجزاء في الآخرة، نحن في دار ابتلاء، نحن في العام الدراسي، العام الدراسي طبيعته الدارسة، والجهد، والمتابعة، والحفظ، وأداء الواجبات، بعد الامتحان يكون التكريم.

والحمد لله رب العالمين